

من خاطر قبس

170 خاطرة تلخص قصة الإنسان والحياة والموت

د. ليلي حمدان

تبيان
نصنع الوعي

الفهرس

٢	الفهرس
٤	الكاتب
٥	تمهيد
٦	النفس البشرية
١٤	الرجولة والأنوثة والطفولة
٢٣	مسيرة الزمن
٢٥	الحياة عقيدة وجهاد
٣٣	الجنة والنار
٣٥	الأمة وقلبها فلسطين
٣٧	الجيرة والصدافة
٣٩	القيادة والإمامة
٤٤	الخاتمة

هذا الكتاب من إنتاج ورعاية

تَبْيَانٌ
نصنع الوعي



الكاتب

د. ليلى حمدان: كاتبة فلسطينية، نشأت وترعرعت في ديار الهجرة بين بلاد العرب والغرب، حاصلة على درجة الماجستير في الطب لكن هذا لم يمنعها من الانشغال بطلب العلم الشرعي والدعوة والأدب والإعلام والكتابة في قضايا الأمة المسلمة.

عملت في مجال الدعوة في الغرب وكان لها نشاط في إلقاء المحاضرات في المساجد وتعليم أبناء الجالية المسلمة أصول دينهم وعقيدتهم وكذا لغتهم العربية.

عملت في مجال الدعوة على الإنترنت للإشراف والعضوية في منتديات لطلب العلم والدعوة. وحاصلة على دورات في التسويق والتحرير الصحفي وكذا التصميم الدعائي... حاليًا كاتبة في موقع تبيان.

تبيان



تمهيد

حين يشدو الوجدان بحنين وألم...

حين تنسج الحروف المفاهيم من شجن...

حين يفكر الضمير بصوت مرتفع...

حينها يطرق القلب نوع من قبس...

قبس من خاطر يلخص قصة الإنسان والحياة والموت! فالإنسان قصة ولادة وحياء، ثم بقاء وصراع ثم رحيل وموت... هكذا هي القاعدة المتوارثة التي تحكم كل فرد وكل أمة منذ خلق الله البشر.

وسبحان الذي جعل من الكلم وحياتنا تتواصل به الأرواح فينسب شعور قرب تتقاسمه النفوس البشرية، ويكون هذا القرب أكثر روعة كلما كان الكلم مستنبطاً من معين واحد ومن تجربة واحدة ومن شعور واحد ومن مصير واحد. وهذا حال أبناء الأمة الواحدة.

هنا في هذه الصفحات، وبدون قيد ولا أغلال، أطلقت العنان لفكرتي وخاطرتي وشعوري، لأعبر عما نعيشه في كل يوم ويهمننا في كل حين ونتمناه ونهواه، لعلني وعسى أشاطر أحزانكم وأتراحم وأرواحكم بما نسّموا به فوق مادية الأرض.

النفس البشرية

"اثبت أحد"... وهو الجبل الأثم... الذي استعلى على كل منحط... "اثبتني نفسي" وأنت نفخة الروح في الجسد قد استعلت على كل شياطين الجن والإنس.

قد تثور النفس وتضطرم وتستعلي على الظلم والعسف لكن صدرها لن يعبق بالحرية وروحها لن تنتشي بالنصر حتى تسمو فوق مادية الأرض!



كل منا يبحث عن ذاته في قريب... ولكن المحظوظ فقط من وجدها في نفسه!



نخطو خطواتنا في مسيرة القدر، قد أعلننا إيماننا وإخباتنا... قد أدركنا مالنا وما علينا... فنكتشف عند المنعطفات الخطرة أننا في امتحانات الصدق الجادة، تهزنا اللحظات القاسية وتشتت آمالنا المواقف العاصية ويجمع شملنا فرار إلى الله وخضوع وتذلل تتشرب فيه القلوب ينابيع الإيمان الهادرة! فإي لذة تجرأ على المنافسة؟!



إن حبا لا يقربنا من الله ليس جديرا بأن يحفظ فضلا أن يذكر، قل إن صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين خالصا وكذلك مشاعرنا فلا نحب إلا
من يصل ذاتنا بالله.



إلى الأرواح التي علت وجهها مسحة حزن وكآبة، أو خالجها حزن شديد يعصر
مقلها... اسجدي لله ورددي آياته واقتربي ليشق شعاع من الضوء ظلام الأسي
فيضحى القلب ربيعا مزهرا.



عجيبة هي رغباتنا... كالقوة المندفعة الهادرة... تصبو لأساطين الشائعات ومطايا
الأوهام... فإن طاوعناها تحولت كالأصار والأغلال تقودنا لأوضار الانحراف.



إذا طرقت فؤادك الألم والحزن، وضافت بك الأرض بتتابع الملمات والحاجات
والتفجع الواله، فليفض القلب بالكلم الطيب... والدعاء الخالص الهاتف...
وليرافقه الدمع البريء الصادق، ولتبشر يا مخلوق بالإجابة!



تلك النفوس الساجدة، تحييها الأفئدة وتشيعها الأرواح الباذلة... لا تلج أذانها
كلمات نابية... جوانحها مملوءة بالرضا... قلوبها معمورة بالذكر... خصالها ريان
بالاستقامة... جدها وقور وخفة روحها واثقة... بسخاوة الطبع وكرم السجايا
ونداوة خاطر تسابق باهرة، ألا سلامي لتلك النفوس المتوثبة المشرقة.



دع الدنيا بغيرورها وصلفها، ترفع عن كل لوم قارع وسباب قاذع وشتم وعتاب،
وأمر النفس تدخل مع عناصر حزنها في هدنة واستكانة وإيمان، هناك ينحسر
الألم، وتشيح الهموم مغرّبة...



إلى أولئك الذي غرقوا في بحور الأسى والحزن لما انكتب وقد عدّ...إني تأملت
في كلم العقلاء ممن سبق، فما وقر في القلب مثل قول ابن مسعود رضي الله
عنه:(لأن أعض على جمرة أو أقبض عليها حتى تبرد أحب إلي من أن أقول
بشيء قضاه الله لبيته لم يكن)، فاعتبروا يا أولي النهى واللّب.



البسطاء هم الذين لا يتكلفون تعقيدات الحياة والعلاقات والكلمات... هم كل ما
صدر من القلب ليصل إلى القلب بلا حاجة لترجمان ولكن وقعه لا يُبارى.



بعض الظواهر تعكس ضدها حين تبلغ ذروتها، كما يعكس البكاء قمة السعادة
حين يبكي السعيد.



مضرب الألم القلب فإن كان مؤمنا كان الاسترجاع والإنابة وإن كان كافرا كان
الطغيان والشر وإن كان منافقا كانت المداهنة والسياسة.



حين تقفز النفس من هامش النسيان إلى قلب الحركة والأحداث تستشرف
الخير والبر... تنتقل بكليتها... قلبا وقالبا... من حماة الجاهلية إلى قمة الإسلام
وذروته... حينها يشع كوكب اسمها في فضاء الصادقين.



إن إقبال النفس بكل ثقلها وكلها إلى ميدان العطاء في غير افتئات أو اختلاق
ولا غرور أو سفه أو ضلالة... خاتمة الأمن والهناء واستقبال الملائكة بالبشر
والحبور.



لا زال المؤمن في جهاد واجتهاد مع النفس... يدفع بإيمانياتها ويقينها، يرفع من
أخلاقياتها وشفافيتها، يخط على صفحة فؤادها أخدودا عميقا من الصبر
والجلدة. يمضي بها في دروب صعبة شائكة تصعد به الهضاب والجبال وتسفل
به الوهاد والوديان فيدرك مع كل عسر ومشقة أن النسائم الندية لا تحملها إلا
رياح الإيمان والإسلام بشرى بين يدي رحمته...



إن أبشع النفوس تلك التي دأبها التسلق والافتئات على همم المسابقين...
توهمهم الصدق والمحبة وتضمر لهم الحسد والمضرة.



لا تعول على نفس تخرج من طورها وتستيقظ في أعماق ثورة عزتها وغضبها
ولكن عوّل على نفس صادقة المشاعر دموعها كلمات وعبراتها حروف وأحزانها
وآلامها قصائد من عيون الشعرا!



إذا رأيت الرجل وكأن إبليس تلبس في كل كيانه فلا تأسف عليه ستعلمه الأيام
أن القوة في التقوى وليس الشديد بالسرعة!



مهما تزيّن المرء في مظهره فلن يشع بنور الجمال إلا إذا تزيّن قلبه وتزيّنت
جواره وتزيّنت أفعاله بتوحيد الله واتباع رسوله. صلى الله عليه وسلم.



يقولون الألم أنواع، بل كذبوا هو واحد يفتك بالحشى فتكا، ولكن العباد
يختلفون... بين هذا يشعر أكثر وذاك لا يشعر أبدا.



لا سكن من دون باب القناعة ومفتاح الصدق.



المرونة هي أن تتجاوز الصعاب بحجم قدرتك وحجم التحدي، فبعض الصعاب
تحتاج لقفزة وأخرى لانعطافة وأخرى لتحطيم ومنها من يحتاج لأن تدوسها
بقدميك.



لا يضرّك غمط من غمطك فإنما جبلة الجحود عند الغوغاء.



(تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله)... هذا خير من (وجوههم
من سواد الكبر عابسة كأنما أوردوا غضبا إلى النار.... ليسوا كقوم إذا لاقيتهم
عرضا.... مثل النجوم التي يسري بها الساري...)



من عبست نفسه لا يرى جمالا مهما تجلى وظهر... كما لا يفرح بما أوتي ولو
كثيرا ولا ينعم بما نال ولو عظيما....



شتان بين الثقة بالنفس والغرور فأما الأولى فاعتماد النفس على مقدرتها
الحقيقية في تحمل المسؤولية وتطوير ملكاتها ومواهبها... وأما الثانية فاعتماد
النفس على الكبر الزائف والخيال والأوهام.



إن أبدع الكلم هو ذاك الذي يسيل به قلب مؤمن لذعته الأزمات وكوته الملمات
تنسجه الآلام لوحة فنية... رسمتها عيون ذرفت دموع الحرقه وروح تجرعت
ألوان الغصص. خرج من الوجدان لا اللسان. عاشه بكل جوارحه.



النفس مولعة بمعرفة الجديد واستكشاف المستطرف... وهو شغف قد يستغله
المحتالون!



بيننا قوم (أهمتهم أنفسهم) يرون الكون في داخلهم لا يفكرون في غيرهم ولا يعيشون لسواهم ولا يهتمون للآخرين لأنانيتهم طاغية وضررهم أكيد.



التكلف والصلف هو الاعدام للكيان وللذات.



إذا رموك بمنجنيق الحقد... وطوّقوك بجيش من السخط والحسد... فلا خير من التفاضي... والاستغلال تحت العافية الوارفة وكن ذلك الذكيّ الأريب لا الجاهل الرعديد وتوكل على الحيّ الذي لا يموت.



العفوان يصبح كل حقد أو عتب...أمسا دابرا... وسفرا مطويا.



كان داوود حدادا وزكريا نجارا وإدريس خياطا وأغلب الأنبياء رعاة، ثم يقابل هذا الصنف المبارك ملاء يزدري الناس العاملة؟! فقل لي بربك كيف تعيش دون بسط هذه الأيدي الباذلة؟!



إذا ما هبّت ريح الشحناء والبغضاء بين اثنين فلا خير من خليل يرفرف بجناحيه الظليلين!



إذا دخلت في نقاش، فإن أول ما عليك ضبطه "نيتك" ثم "ساعتك"، فإن فسدت الأولى فسد اجتهادك، وإن صلحت خرجت بأجر مهما خذلتك حجتك. وإن طالت الثانية، فهناك خلل ما تحسسه بصدق، وإن قصرت فقد أفحمت من تناظر!



ليست المشكلة دائما منك أنت، بل أحيانا من النظارة التي تنظر من خلالها إلى العالم! فاحرص على نظارة الحقيقة والواقعية ولا يخدعك بائع!



(لا تقبل شهادة خُصم ولا ظنين ولا ذي غمر على أخيه) وذي الغمر أي الحاقد الذي يحمل الغل والكراهية... وقد رأيت أظلم الأحكام التي تصدر عن حاقد، فقبل أن تسمعوا منه اسمعوا أولا عنه!



ليس كل اختلاف لاختلاف في المفاهيم بل قد يكون في الفهم ذاته، أقول له: عمرا فيسمعه سعدا... ويكتبه حمدا وينطقه زيدا! وكمن عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم! فليس يصح في الأفهام شيء... إذا احتاج النهار إلى دليل!



الرجولة والأمانة والطفولة

تاج الرجولة المروءة وتاج الأمانة الوفاء... وإنا في زمن وددت لو أن فيه سوقا
للمروءة والوفاء... فتشتري وتهدي كما تهدي ضروريات الحياة! ليتم النقصان
وتزهر الآمال فرحا جذلا وجمالا...



قهر الرجال سمّ زعاف، قتل بلا رأفة وشنق على مسارح الشماتة... فاستعيدوا
منه في دقائق الإيجاب...



يتعوذ المؤمن من قهر الرجال لكبير مصابه وعظيم أذاه... ولكن ألا أدلكم على
أظلم منه. إنه قهر النساء حين يخذلهن الرجال... ذاك أن الأول قهر لذات الرجل
على ضعف أما الثاني فقهر لأمانة الرجل ولرجولته على قوة.



الهمة همتان... همة صادقة وهمة مغشوشة... لا فرق بينهما البتة إلا في المعدن...
الذي تعربه رياح الامتحان... فتتشرب طبقة الخداع في الله وتظهر الأناية في
أقبح أوجهها.



قالوا ما السكن؟ قلت: مغنى الطفولة ومرتع الشباب ومهوى الفؤاد إذا استوحش.

قالوا ما الرجولة؟ قلت: نمط وطرّاز من السلف.

قالوا وما أماراتها؟ قلت: يقظة عاملة ناصبة.

قالوا وما وظيفتها؟ قلت: تأخذ الطريق إلى الريادة ليكون النشور في الملاكما
أراد الله تعالى لهذه الأمة أن تكون خير أمة.



لا يكتمل عطاء الرجل إلا برفيقة في جهاده وجِلاده تلوح مخايل الذكاء والفتنة
على قسّمات وجهها!



لا زال أجلاء الرجال إلى الآفاق مسابقين، بين دعاة وغزاة ومجاهدين.



قيل أي الرجال أنفع، قلت من كانت روحه وثابة رافضة لكل انحراف... وكانت
جريئة في الحق.

قيل أي الرجال أسوء، قلت أعناق مشرّبة تتطفل!

قيل أي الرجال أتعس، قلت المستغرق في جاهليته وغروره!

قيل أي الرجال أبصر، قلت من كان في سيره متئد الخطى... هيّن الوقع، ساهما...
سابقا في أجواء التطلعات إلى المستقبل... يتهيب الموقف واللقاء... وغرة
الإسلام بين عينيه!



عزة الرجال أن يرفعوا الهامات أمام الأعداء تيتها وفخرا... وأن يظهرها في عيون المسلمين كموئل للدعوة وجند للدين الحنيف.



خير الرجال خيركم لأهله فمن أحسن وصبر وعاشر بالمعروف لا شك حاز شرف المروءة الأسمى! ومحظوظة معه تلك الأنثى!



أحسن اهتمامك بها في وقت حاجتها فإن كانت وفية مكرمة لتجزينك الضعف في وقت حاجتك وغير حاجتك. ذلك أنهن باذلات جوادات إن أحسنت الاستيعاب.



احذر أن تسقط من عينيها، فإن فعلت فلا تشتكين جفاء وجفوة! إنما ذلك بما قدمت يداك وإن أقواما سبقوا كانوا يعرفون الذنب من تبدل المرأة وتصدع سكون البيت!



إن الذي يحسن الحب والوفاء، لا يمكن أن يخشى من بنات حواء المؤمنات! ولكن من دأبه التلون والاضطراب يتجرع من كأس المضاضة والتأسفات!



كلما كنت رجلا كانت هي الأنثى! وكلما كنت القوام كانت هي المقام! وصدق من قال، انعكاس أرواحنا على صفحات أزواجنا إنما هو فضل من الله عظيم فاسألوا الله تمام نعمة الانسجام!



قالوا ما الأثوثة؟ قلت: طيب العشرة وأنس الكلام وصفاء القلب ورواء الذات!

قالوا وما أمارتها؟ قلت: وضاعة حسن وبهاء طلعة.

قالوا وما وظيفتها؟ قلت: مهوى النفس ومحط الأمل.



ما نهلت امرأة من نمير الإيمان ووردت أعذب ينابيعه... وصبرت على الرزء... إلا وأطلت على سجل الخالدات.



قيل إن كيدهن عظيم، قلت: هي المرأة تترجم حقدتها إلى ثار عملي.



أخوف ما أخاف على المرأة عنجهية فارغة وكبرياء أجوف!



إذا أقبل عليك هائجا يكاد غضبه يسبق خطواته... فاستشف الغوامض بأسلوب الاسترشاد والاطمئنان بصوت حنون هادر يشق عنان الإباء... حتى توصلني النفس وذاتها بالله، ثم كحلي عينيه بطلتك وإهالك... ما يزلزل الجبال الشم

الرواسي... فتزهر نفسه ألوانا وأشكالا تبعث العطر نديا شذيا عبقا، يبعث النشوة
في النفس وتستروحه... ويملاً الصدر فيطيب به ويتبدد معه كل بؤس!



كوني له الثمرة بحلاوتها وطلاوتها وغذائها الشهي وسريان خلاصتها في كيانه!



قيل ما السكن؟ قلت: أذن مرهفة وصدر رحب!

قيل ما الزواج؟ قلت: سفينة العمر تمضي في عباب يم الحياة تمشي متهادية به
وبك!



حين ترينه يواجه من قسوة الحياة ما تنوء بحمله العصبية من الرجال أولي
القوة... حين تبصره وقد لبسته الهموم والخطوب فأضحى ساهما واجما
متألما... حين يقبل إليك أنت ليفضي بمكنون فؤاده من جزع وحيرة، إياك أن
تلجأى للتيه والوجل... بل اجعلي الجواب ابتسامة يشرق فيها إيمانك مضيئا
مشعا فوق الثغر، وادفعي بسيل رقرق من الكلم... عنوانه لن يخذلك الله أبدا!
بهذا سبقت خديجة رضي الله عنها.



حياة زوجية بلا تجديد كقارب يسير في عباب اليم بلا تجديف! أفلا ألقىت عن
كاهلك ثوب الملل وأيقظت في قلبه روح الأمل، ونثرت من عبير عطائك

ومحبتك ما يسلبه لبه، كوني مبتكرة مبدعة سعيدة مبتهجة مجددة مثيرة
مبهرة! تلك هممة مسلمة متزوجة!



الطفولة: هي عنوان البراءة والجمال هي موطن الإنسان الأول هي كل ما نحمل
من حب فطري نقي لم تخالطه نجاسات الشر أو خبائث النفس!



تلك العيون الصغيرة تحمل خلفها معاني كبيرة، ابتسامتها البريئة عنوان
السعادة والفرح، فارقوا بأرواحها الغضة الطرية فإن لها مستقبل مشرق! هذا إن
أحسننا رعايتها وتربيتها.



في تلك الطفولة ارتسمت ملامح مستقبلنا، هناك في تلك البداية قد تحددت
النهاية، كنا بالأمس القريب نحلم بفريق من الشجعان الفاتحين يدخلون مكبرين
في باحات الأقصى رغم قصر قاماتنا ذلك لما أبصرته أعيننا من بشاعة الخلق
وما ثارت به نفوسنا من ثورة على الظلم، كبرنا وكبرت معنا أحلامنا ولكننا إلى
اليوم لا زلنا نكرر ذات الحلم ولم يتحقق بعد! فهل حاضرنا لا زال إلا طفولتنا
تمتد إلى فضاء الأمل؟! قولوا يا رب حقق لنا أمانينا!



دع الطفولة تشرق في مسكن أضواءه الإيمان وأنواره التصديق بالله ورسوله...
في مسكن تنتشر في جنباته روحانية الإسلام السامقة... بين أب راعع ساجد
صديق وأم عابدة متبتلة مخلصه!



الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر ليست مقولة شاعرية أو كذبة تاريخية بل حقيقة ملموسة، فاجعلوا أول نقش في تلك القلوب المرهفة المقبلة بحماسة وشجاعة حفظ كتاب الله، فوالله لهو خير ما تهديه فلذة كبدك في هذا الزمان، أن يحوز شرف حفظ القرآن فيتحصن من قادم خطير آت!



هي جدتي كنت أرمقها من وراء جدار، تلبس الأبيض وتتوضأ لصلاة الفجر بكل وقار، كانت عابدة متبتلة، تزدان بصلافة الإيمان، لازلت أتذكر كلماتها الصارمة (لا أكل مع تارك صلاة)، ثم رحلت قبل أن تودعني أو تعرف ما أكنه لها من حب وودّ واحترام، فهالني مسابقتها على شيب شعرها عندما شاهدت ما تركت خلفها من آثار وما يذكره عنها الأوفياء، فشعرت بعميق الامتنان، أيتها الجدات إن آثاركن لتمتد إلينا لأعماقنا فأحسنّ الختمات.



لا أقوى على تجاهل تلك الشخصية الصغيرة الفدّة، ذلك أنها تشع بالنجاة والمحبة، تراودني في انشغالي فأنسى الفكرة، وتشعرنني بأمومتي فأهوى الطفلة! تغوص في أعماقي بنظراتها الشجاعة وأراها ترسم في ذهني كلمات شتى! لقد أصبحت اليوم أما، وهي غدا مداد الهمة! فاللهم احفظ لأمتنا تلك الدرّة المهمة.



أطفالنا انعكاس أفكارنا، فما يعجبنا فيهم لا شك أنه مستوحى منّا وما يزعجنا فيهم لا شك أنه مقتبس منا، إنهم مرآة حقيقتنا، فلا تلوّموهم بل لوموا أنفسكم ولو سألتهم من عرفكم صغارا لقال ما ظلم من شابه أباه وأمه. وإن لم تكن قاعدة دوما.



لا تقسّون فتكسرن ولا تتركّن فتندمن، وخير الأمور أوسطها، ذاك مبدأ في التربية الممتدة.



بعض التغافل نعمة جربوه مع الزوج أو الزوجة أو الطفل ولن تندموا بل إنها سعادة جمّة!



أبي أحببتك أول ما فتحت عياني وأنا أراك المثل القدوة! ولما كبرت وأدركت تصاريف الزمان كيف تحفر في قلب الإنسان وتصلقه صقلا، علمت أنني أحببتك أكثر عندما رأيتك إنسانا!



لم أقدر مكانتك يا أم إلا بعد أن أصبحت أما!



يقولون شقاوته عنوان ذكاء، تخريبه دليل دهاء، تلك حقيقة ولكن، لا بد من
استقامة للنبات حتى لا يمتد طوله معوجا، فقوميه برفق وقوة، إنما الذكور
رجال هذه الأمة، اصنعيه إذن لينصرها بهمة.



مسيرة الزمن

تأملت في العمر... فوجدته تعداد المواقف النابضة، لا تعداد السنين الزائلة!



المحروم هو الذي يشغل ساعته بالتفكير في "غيرها"، فإن كان "غيرها" مضي فهو فوت وإن كان "غيرها" قادم فهو الأمل... بينما ليس للإنسان إلا ما ملك... فانشغل بلحظتك التي تملكها الآن وابدل فيها وأحسن فتزّين ماضيا سعيدا وتتوّج مستقبلا فريدا.



قلبت في صحف التاريخ وحياة البشر، فرأيت مشهدا واحدا متكررا في كل عجلة زمن (خيم الصمت المطبق على المكان... وران على الجميع السكون الشامل... وانخرط الجميع في البكاء والنحيب)... إنها صور الوداع الأخير... حين يموت الحبيب ويكون المصاب عظيما، وما جعلنا من قبلك لبشر الخلد!



قيل ما أنفع تجربة؟ قلت التي فيها الري بعد الظمأ والمثل والعبرة.



اجعل من ماضيك المؤلم درسا بليغا وأمثولة طيبة ننتفع بها ونتعظ.



التاريخ! عشقت صفحاته بسوادها وبياضها، قد أدبرت فيه سنين البشر بحلوها
ومرها، تتنافس فيه الحقائق لتثبت لمن قرأ أن سنن الإله لا تحابي أحدا! فمن لم
يقرأ التاريخ لم يقرأ!



قراءة التاريخ ميلاد نفس وتجديد حس وميثاق وصل يثوب معه الرشد
ويستقر اليقين.



تبا لها من فانية، جاهمة المحيا داهية، مزجت بالكدر والأسى لا زلت منها في
كبد ساريا!



تأملت في أنواع الدعاء... فلم أر خيرا من الدعاء بجوامع الكلم... لا تخصيص
ولا تنصيص! ذلك أن العبد جاهل لما ينفعه أو يضره... فلا خير من توكيل
العظيم الشأن كله... فاللهم أبرد لاعج القلب بثلج اليقين... وأطفأ جمر الأرواح
بماء الإيمان... وأزهق باطل الضمائر بفيلق من الحق... ورد كيد الشيطان بمدد
من جنود عونك مسومين.



قليل ما النجاح، قلت إن تتخطى مرحلة الابتلاء إلى مرحلة الفوز.



الحياة فقيرة وجهار

نولد من رحم الحنان لننشأ في رحم العطاء ثم نفتح أعيننا على عالم بشع!
تجاذبته قوى الشر والطغيان... بينما يقف الحق في القلب صامدا يدفع بالميمنة
والميسرة والمقدمة والمؤخرة... في معركة البقاء.



إن ما نحمله من أفكار وتجارب وخبرات ومكارم وأخلاق لا بد لنا أن نبذره في
تربة الجهاد ونسقيه بماء الهمم ونرعاه بالدعاء، بلا عجلة ولا سأم، ليخرج لنا
حدائق ذات بهجة يستظل تحت ظلالها المسلمون... فيأكلون من ثمار البذل
وينعمون بعبير الصدق ويحلقون مع روح التضحية!



جميلة هي تلك الأرواح التي تحابت في الله وتعاونت في الله وأقبلت للموت
في سبيل الله... لا بد أن نورا واحدا ينير قلوبها، ونبضا واحدا يوحد همومها،
وبلسما واحدا يداوي جروحها... لم يزل الحب في الله أسمى وثاق بشري...
فطوبى لمن وطأ ثريته!



اقهروا الأجساد كبلوها... واقطعوا الآمال بدوها... واشنقوا الأرواح خلصوها...
مهما برعتم في القبح والبشاعة... لن يكن للباطل حصن في بلاد المؤمنين.



أكثر ما يضعف اليقين، حب الترف واستشراف الرخاء وطلب الجاه!



الفائزون هم الذين ليّنوا عريكة الدنيا وأسلسوا قيادتها بروحانية شفافة علوية...
قد ظهرت على محياهم علامات الجّد والرّصانة!



نجح الغرب في تسميم أذهاننا بفبركات إعلامية كاذبة... ربينا عليها... أبينها...
لكن بعضنا تشربها حتى آمن بها... وحين حان وقت المواجهة، قال ذلك البعض
لا طاقة لنا بالغرب وبجنوده... فقال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين.



لا يمكن أن تدرك لذّة العبادة إلا إذا خضت غمارها... أعددت لها وأقبلت إليها...
تحدوك آيات الوعد الحق، ثم هناك فقط حين تستقر النفس في حضن
التضحية تتربع على عرش اللذّة فلا يسبقك أحد.



ليس الجهاد مجرد فرض بل هو علم قائم بحد ذاته، فيه الأبواب والفصول، فيه
الفنون والأصول.



إلى تلك الأرواح التي تماوجت بها أحداث العقود من السنين حاملة لواء
التوحيد في إباء وشمم، قد آذن زمن الغربة والوحشة إلى الأفول، واقتربت
المراكب للشط الأمين، إلى رحاب الله الكريم... فقري عينا واستبشري.



تأملت في قلوب وصدور الأعداء على اختلاف ملهم وألوانهم فلم أر فيها إلا
غصص الحقد والحسد!



يكفي من الجهاد نفوذ واسع ورأي مطاع وسطوة بالغة!



ليس النفير إلا خلاصة المخاض الوجداني... في صدر نفذ فيه شعاع الإيمان إلى
صميم الفؤاد... وسرت أضواء اليقين إلى أعماق القلب... فاستنار كل ذلك بعد
ظلمة دامسة وسواد حالك... ليرى العبد نفسه يسير على المحجة البيضاء دون
زيغ أو اضطراب... مقبلا على ميادين القتال والموت... في غير تلجلج أو خوف!



فليعمر القلب كل أنواع الحب وألوان المشاغل.... ولتتجاذبه جميع أصناف
المشاعر... فما أن يحل النزال وتفتح أبواب السماء وتميد الأرض بكتائب
العدى... حتى يشع حب القتل في سبيل الله... فيعلو على كل ما في القلب
ويهيمن عليه، وتصغر كل محبة دونه، ويندفع الإقدام قتالا!



حدثوني بكل أحاديث الفرح والبهجة والسرور فلن تبلغوا معشار وصف فرحة
الشهيد!



كل الحبال تتصرم إلا حبله وكل الأبواب توصل إلا بابه... فعلا ما يجزع البشر!



إن أخوف ما أخافه عل أهل الإسلام... همم مغشوشة! تنادي بما لا تعتقد...
وتنهى عما تفعل... وتنصح بما تهمل... وتعد بما لا تفي... تحب أن تحمد بما لم
تفعل... تتأنق في التسلق وتهون من الذنب... تعشق الأضواء فتطرب لذكرها...
وتلهث خلف مجدها... ظاهرها الجد والبذل... وباطنها الغش والجشع... لا
تعرفونها ولكن الله يعرفها... وجعلنا بعضكم لبعض فتنة...!



كن في الصميم ولا تكن في الهامش!



إذا تسلل الإيمان إلى أعماق أعماقك، ومشاشة عظامك، وعروق دماغك، فلن
يحرملك مخلوق من لذة الفداء وإن جلدت بالسياط اللاهبة تبضع بدنك...!



الهجرة هجرة واحدة... لله ولرسوله صلوات ربي عليه وسلامه...



ليست الهجرة أسطورة إغريقية أو هندية أو فرعونية لحمتها الخيال وسداها الوهم، إنما هي الخلود إلى الذات تعبدا وتهجدا وتقربا لله بالنفس والمال... تطرق به الروح سقف الجنة... لحمتها الحقيقة وسداها الصدق.



قيل ما الشهادة؟ قلت: أن يسدل الستار على فصل من أمجد فصول العبد وتطوى صفحة من سجله العظيم... سجل الخالدين!



يوم الهجرة... أذنت فيه الحياة بتحول كبير وخطير ومفصل تاريخي عظيم... إنه الاعتزاز بما أودعه الله في الإنسان من عقل وقلب وهذا إليه من خير وحق. إنه باختصار عزة النفس وشموخ الذات.



الهجرة شهادة تدخر في ضمير الزمن... والشهادة أنشودة الختام تشق عنان السماء لتطوى صفحة من صفحات سفر الخالدين!



لكل أمة أبطال وأعلام، وأمتنا لم تعدم الخير، ولكن التمايز بين العصور يكون، فهذا عصر يعج بالنجوم وذاك يفتقر لطلعة نجم! كله من حجم الإقبال والصدق. فأين الدعاة المصلحون؟!



إن أمة تأصلت جذورها في تربة المجد والخلود ثم اشتد جذعها وانبتقت فروعها في السماء لتنتشر أغصانها فينازة ظليلة، حري بها أن تنتصرا!



كل الآلام سهل نسيانها إلا ألم المعصية.



يقولون أرسينا الديمقراطية لحرية الشعوب وقد كذبوا بل فرضوها لإذلال الشعوب... ولا زال هذا العالم مذ أعلنوا الديمقراطية ديناً جديداً، لا زال تعلوه الأمواج العاتية التي تتأرجح معها الحقوق يمناً ويسرة ويكثر مع ذلك العسف والظلم، بينما التاريخ شاهد على أن الإسلام أكبر حافز للنفس البشرية لبلوغ الأمانى وتذليل الصعاب والارتقاء فوق ماديات الأرض ووصل الذات بخالقها عز وجل، وبهذا سبق أهل الإيمان أهل الكفر.



عند حشجة الموت والاحتضار... تنتاب القشعريرة الأطراف... وتتلجلج دقات القلب ونبضات الفؤاد... فلا تغدو الحياة إلا قبراً ورمسا... ذاك مشهد لرحيل المسلم! ولكن... من أمضى حياته في (أن اغدوا على حركم وحي على الجهاد) فعنده اليوم الأغر... إنه يوم الخلود الدائم الأبدي السرمدي.



لم أر أكثر روعة من حياة مجاهد حمل هم دينه وأمته، تمر عليه الأيام والليالي يبذل في عطاء ووجل، يحدوه يقين لا ينقطع، تكسو روحه سكينه الإيمان المنهمر، فترسم مشهد المعاني العميقة، نعم إن الحياة لا تكون ذات جدوى إلا

إذا عشناها لأجل هدف أسمى، تلك حياة المؤمن، عقيدة وجهاد، وكل ما عداها
يفنى!



بعد كل محنة منحة، وكلما اشتد مخاض المحنة كلما زاد جمال المنحة، فلا
يحزنن مؤمن لطول الابتلاء، إنما الجوائز تؤتى عند نهاية الامتحان وطوبى
لأصحاب المراتب الأولى.



منا المسابق للخيرات ومنا المقتصد ومنا الظالم لنفسه ولا زالت أصناف البشر
تتراوح بين المراتب الثلاث، فاحرص ألا تنزل عن الأولى وإياك الرضى بالثانية
والويل لك الركون للثالثة.



لا يمكنني تصور مسلم عاطل! فإما طالبا للعلم أو متطوعا للعمل! وبحر الإحسان
لا ساحل له فأبحر فيه يا مسابق.



يقضي البشر أغلب حياتهم في تعداد أخطاء غيرهم ولو أنهم تفرغوا لتقويم
اعوجاجهم لكننا شهدنا جيلا أقرب للصحابة الكرام ولكن الشياطين لنا بالمرصاد
والغفلة صارت معنا كالأغلال وربّ مصلح مدرك... تارة يذكر وتارة ينذر.



يؤلمنا تنازعنا وتخاصمنا واختلافنا الذي لا تخمد ثورته إلا لحين، لا شك أننا ندفع ثمن خذلاننا لأمتنا وتفريطنا في ديننا منذ زمن بعيد، وحتى يستقيم جيل لابد من صقل وضرب وتقويم، فاصبروا على ضريبة الولادة من جديد وتحملوا آلام المخاض العسير، لأن الآت سيغبطنا عليه الأولون والآخرون! أفلا يستحق منا الانتظار والتضحية والكثير!



الجنة والنار

الجنة: الحنين لوعة الشوق وخنجر التوق ومغناطيس الأمانى الذائبة في ثنايا
الجسد... لا تُطفئهُ ذكرى ولا أمل... إنما تشفيه اللقاءات الخالدة!



لو أننا أسكنا أرواحنا في تلك الجنة، لما آلمنا حرمان أو أذى، ولظلت تحدونا
(الأجر على قدر المشقة) فتكلّ أقلامنا وتعجز قرائحنا وأفهامنا عن رسم مشهد
الخلود الذي ينتظرنا لكماله وروعته... ذاك حين نقبل بكلنا لا بعضنا.



النار: كلما أذاك الألم، تذكر لفحة من النار في يوم عسير... لا ينجيك منها إلا صبر
لله في دنيا مضت.



تلك الروح التي أبت إلا العصيان... لم يزل كتابها منذ النشأة إلى أن وراها رسمها
حجة عليها دامغة... فقلبوا في كتبكم... وانظروا في أعمالكم... فرب عمل أدخل
صاحبه النار وهو جاهله... وما أدراك ما النار.



إن أخوف ما أخافه سيرة عطرة مبهرة وخاتمة سوء مهلكة، ذاك واقع يجهله الكثير، فلا تكثرُوا من إحسان الظن بل أكثرُوا من إحسان الإخلاص والجدِّ. وإياكم والاطمئنان والرضا فإن الخواتيم من دسيسة في القلب لا يعلمها إلا الله.



سبقنا أبو بكر رضي الله عنه، بشيء وقر في نفسه، إنه وربي لعنوان سفر من العطاء والبذل والمسابقة، فانشغلوا بأنفسكم ووصل ذاتكم بخالكم لتسبقوا!



لولا الجنة والنار لما شعرنا بلذة النجاح والعدالة ولما استطعنا المكوث في الأرض!



الأمة وقلبها فلسطين

الكل ينادي بالأمة وقليل من يفديها بهمة!



اجتمع أهل الكفر لنصرة أمتهم وضخوا لأجلها بأثمن قدراتهم، ونحن نراقب همهم ونضرب المثل بوفائهم ونسينا أننا ضيعنا أمتنا وانشغلنا عنها ببناء أمجادهم! نعم ذلك حين جعلنا بذلنا في سبيل رضا سياساتهم وحفرنا مجرى أحلامنا لتصب في بحر أحلام أمتهم!



ما يفت القلب مثل اعتلاء منابر الأمة دعاة العزة بالذلة، فكم زعم الأقوام عزا بذلهم.... كنا فخ كير دُخنه يستطيئه! يبزر كي يأتي بحقٍ لباطل..... يظنُّ به ربّ العبادِ يُثيبه!



فلسطين: تاريخ أمة ونبض العزة وامتحان العودة لدين الله الحق!



فلسطين: هي عنوان بدايتي وعنوان نهايتي وقلبة المجاهدين!



سيبقى التاريخ يذكر إباء بيت المقدس، بطعنة سكين أبيض تقتص ممن دُئس.



العبر تجول في عيني ثم تطفر كلما رأيت خذلان أمتي يظهر!



جربت كل أنواع الألم ولم أر أقسى من ألم الشوق! غليان خاطر، وأنين تاكل...
كأن مضجعي خط بأطراف الأستة... هل عرفتم أي شوق أعني...؟ إنه القتل في
سبيل الله على عتبات الأقصى... جسد يتمزق... دماء تتفجر... وصرخة "الله
أكبر" تشق صمت الغفلة، لتشهد الخلائق صدق المحبة، فتموج الأشواق بجيد
السما... وتشدوا الطيور ب: يا رب جد بالقبول... قلب الشوق.



الجيرة والصدقة

حين تأخذ الهموم الأنفاس والتلابيب فلا خير من صديق حميم، يغدو ويروح
يأنس الروح!



بعض الأصدقاء لا تحتاج إلى أن تنبس بالكلمة حتى يوافقك بالمعنى! إنه روحك
التوأم في جسد تراه.



أحسن للجار وأكرمه بإمعان... وتذكر أن الله خير مأمول وأكرم مسئول.



أول ما تبسط يدك بالخير تذكر صديقك أو جارك... فهما أولى بإحسانك هذا إن
كنت أدبت فرضك.



الصداقة شجرة وارفة الظلال، سقاها الصدق ونورها الوفاء.



تدور الصداقة في فلك (إذا أنت أكرمت الكريم ملكته..... وإن أنت أكرمت اللئيم
تمردا) فما رأيت امتحان صدق للصداقة مثلها.



لو لم يكن من الأدب إلا حفظ خط رجعة لكفى به خيرا عظيما. وما حفظ العلاقات مثل الأدب!



بسط اليد بالخير إنما هو للأقرب فالأقرب والأولى فالأولى.



إذا عمّت أجواءهم لهجة التهديد ونبرة الوعيد وحمى الغضب تتوقد في عيونهم الجمر الملتهب. فاجعل تواضعك وتنازلك ماء زلالا قراحا... يرأب الصدع! هذا مجرد حق من حقوق الأصدقاء.



لكل منا كبوة ولحظة ضعف قصوى، ولكن المحظوظ من وجد ذاك الذي يلم شتاته حين يضيع ويشد أزره حين يتأرجح ويسند ظهره حين يتعب، فانتقوا صداقاتكم ورفقاء دربكم بعناية وبصيرة فذة، فإن من خير متاع الحياة رفقة صالحة صلبة.



الابتسامة مفتاح القلوب، فلا تبخل بها صدقة جارية في عالم القيم.



القيادة والإمامة

لا يحق لمن طلب الإمارة أن يحصل عليها، هذه قاعدة نقشت في كتب العارفين منذ زمن بعيد، ذلك أن المطالبة بها دليل على الجهل الكبير بمكانتها وعظم مسؤوليتها، ولولا الاستهانة لما كان التجراً.



فضل الله بعضنا على بعض، فمن الرجال من خلق للقيادة ومنهم من خلق للانقياد!



يجمع القائد صفات منسجمة وقد تكون متعاكسة، فهو يحمل معاني الحزم والرحمة، والتفهم والتغافل، والصبر والمعاقبة، والجِدِّ والمرح، إنه نموذج لروعة العطاء الإلهي والإعجاز الإنساني.



المنقاد، مهما ثابر واجتهد قد جبلت نفسه على النسيان وفقدان بعض مزايا السيطرة فأنى له أن يكون يوماً قائداً للناس.



حين يكثر الذم وتطعنك سهام القدح، وتثقل عليك الكلمات فتستكثر الرّد، ذلك يعني أن الألم في حشاك قد بلغ ذروته وأن خير لك من تبديد قواك في رد هذا

الظلم الانشغال في الجدِّ، وستكفيك النهايات حسم الاختلافات إن كنت صاحب حق.



ليست القيادة إلا القدرة العالية على أخذ القرارات في المواقف الشائكة المعقدة. ولا تظهر البراعة إلا عند الفظاعة.



{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.



لست مجبرا أن تجادل كل مخاصم أو ترضي كل منتقد أو ترد على كل مهاجم، بعض الصمت أحيانا بلسم لروح مثقلة بالمشاغل، مشاغل آخرة لا دنيا بها تفاخر فعلام التألم يا مثابرا!



الناس أمامك ثلاثة أصناف، صنف يؤمن بما تؤمن به فهو معك على طول المسيرة، وصنف متذبذب لا يقوى على أخذ القرار لوحده فهذا بحاجة لدعوتك وتحريضك، وصنف قضي الأمر الذي فيه تستفتيان قد خالف طريقك وكفر بعقيدتك، فعلام التأسف عليه، إنما الخير كله في الأوليان ولا يضيرك غمط ووجود الثالث!



يستلهم القائد الرشيد وسائل القيادة من كل ما يحيط به ويعايشه، من الأشخاص والأحداث تراه يستشف الغوامض ويستخلص الفوائد ليطور مزايا قيادته.



الرائد مهما رمته الخطوب فإنه لا يكذب أهله...!



عندما تريد الحكم على أمر ما، لا بد أن تبسط أمامك خارطة المعالم، خارطة العقيدة والمبادئ، ثم تقيس على التجارب ووصايا الحكماء والأفاضل، بعدها عاين بنفسك البيانات والقرائن وزن معطياتك في ميزان المصداقية والحق فإن رجحت أخذت بها وإلا فلا تبني على ريبة أو غش، ولا تنس أن تتوجج اجتهادك بدعاء خالص لله أن ينير بصيرتك ويقوي فراستك، وسيتبين لك بسهولة بعد ذلك الحكم.



أكثر ما يهدد خط سير القائد هو تذبذب الرجال أو تغييرهم، فالرجال الثابتون سند وعزوة أما المتغيرون فوقت ضائع واستناد على هلاميات.



تظهر براعة القائد في قدرته الفائقة في جمع المختلفين في صف واحد!



الأمّة بقاداتها وأئمتها فإن هم قَلّوا أو غفلوا، فلا عزة ولا مجد يرتجى.



(إذا كنت تريد أن تكون إمامي فكن أمامي)، فلا إمامة بلا كونه قدوة ولا إمامة بلا كونه سبق!



في زمننا هذا لسنا بحاجة لجنود أوفياء بقدر ما نحن بحاجة لقادة أكفاء!



إن التخطيط الناجح هو ذاك الذي بنى بنيانه على معالم الدين القويّة وأسند ظهره لدراسات السنن التاريخية والحقائق العلمية السليمة وأبصر في محيطه أسرار السياسة الخفية وألقى بثقله لاستقراء نبوءات النبيّ الثابتة والصحيحة ولم يركن لعدو أو ظالم مهما كان جباراً في الأرض أو عتيداً، ولم يصحب إلا ذو حكمة وبصيرة وشكيمة قويمّة.



ليست كل قيادة مثلى، فهناك من يقود قطعاناً! ولذا يقال: انعق بما شئت تجد أنصاراً وزمّ أسفاراً تجد حماراً.



قبل أن نطلب الأمثل، فلنسعى لكي نستحق ذاك الأمثل، فمن كان يرجو أن يؤمّه خير فليجعل من نفسه أهلاً لإمامة ذاك الخير.



لا تستشر من أضع صلاته فلم يؤتها حقها، ومن أضع صدقه فلم يزل يسجل عليه الكذب، ومن أضع مروءته في موقف يتطلبها!



لسنا إلا حلقة من سلسلة أمم تمتحن! فإما ثبات على الدين وجني لثمار اليقين وتخليد مع الخالدين، وإما عبث وتيه وخسارة في الدنيا والدين ونهاية في مزابل التاريخ! فلنكن قبل ألا نكن أبدا.



الغائبة

إنما هي كلمات اقتطفتها من وحي الانسان من قلب وجودنا نحن في هذه الدنيا العابرة، وما هو إلا غيظ من فيض ولا زال في خاطر الكثير، أتركه لأنثره من حين إلى حين، لعلي وعسى أعبر عما يجول في قلب قارئ أو يؤلم روح مبتلى أو يحيك في صدر مهموم أو يخالج وجدان عارف أو يعكس مهوى نفس أو يحذر من خطر محقق بمسلم، لتلتقي في بحر الكلم ونسبح في رحمة الله مبحرين في سفينة النجاة حتى نطأ بأقدامنا شاطئ ثريا الخلود، إن أحسنًا العمل وفزنا برحمة الإله.

كثيرة هي تلك الخواطر التي تجمعا ولكن ما أجمل أن نتقاسمها بمحبة في الله ونقدمها عربون فداء لدينه... ونستعين بها لبلوغ مراقي السعداء! فالحمد لله على نعمة الإحساس والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد.

كتبته في شتات الغربية

ليلي عمران